

الاستعارة في لغة الإشارة

Metaphor in signlanguage

لطفي الشيباني *

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

جامعة تونس

Nacerlotfi1977@gmail.com

تاريخ الارسال: 2023/02/06 تاريخ القبول: 2023/11/28 تاريخ النشر: 2024/01/20

الملخص:

طرح العرفانيون آليات جديدة، ومناهج مبتكرة، خلصت دراسة الاستعارة من سجن التقاليد البلاغية التي اعتبرتها ظاهرة لغوية تقتصر على النصوص الأدبية الجمالية، وتكون حكرا على الأدباء والشعراء، وتقوم على المشابهة. واعتمادا على معطيات لغوية مستمدة من الخطابات اليومية أثبتوا أنَّ الاستعارة ظاهرة ذهنية في التفكير لا في التعبير، لا تقتصر على الأدباء والشعراء وإنما تتصل بالبشر مهما كانت مراتبهم الاجتماعية ومهما كانت بيناتهم وعصورهم. يستخدمها الناطق ويستعملها الأصم فيفكر بها وبها يحيا". ونهدف بهذا المقال إلى تسليط الضوء على الاستعارات الإشارية التي يبدعها الصم، ونحفر في أبعادها النفسية والاجتماعية والذهنية في علاقته بحشد استعاري يحاصره في مجتمع يرفضه. وكشفت النتائج الاختبارية أنَّ هذا الرفض سرعان ما تراجع أمام القدرة الإبداعية للاستعارات الإشارية في "عين تسمع"، و"يد تتكلم" وهو ما من شأنه أن يغني معرفتنا بالاستعارات التي نحيا بها، وبموجبه ربما تسهل عمليات اندماج فئات اجتماعية كثيرة في التواصل اليومي.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة التصورية، الاستعارة اللغوية، الاستعارة الإشارية، الإشارة الاستعارية، الأصم

Abstract:

The cognitivismes put forward new mechanisms and innovative approaches. The study of metaphor concluded from the imprisonment of rhetorical traditions, which it considered a linguistic phenomenon limited to aesthetic literary texts, monopolized by writers and poets, and based on

* المؤلف المرسل.

analogy. And based on linguistic data derived from daily discourses, they proved that metaphor is a mental phenomenon in thinking and not in expression.

In this article, we aim to shed light on the indicative metaphors created by the deaf, and dig into their psychological, social and intellectual dimensions in their relationship to an allegorical crowd that besieges them in a society that rejects them. But he quickly refused to back down before the creative power of indicative metaphors. The article is a path of discovery of a kind of metaphors such as "an eye that hears" and "a hand that speaks", which would enrich our knowledge of the metaphors by which we live, and according to which it may facilitate the integration of many social groups into daily communication.

Key words: Conceptual metaphor, linguistic metaphor, indicative metaphor, Metaphors Signs, the deaf.

مقدمة:

لئن برز المظهر العرفاني¹ في لغة الإشارات في المظاهر الأيقونية التي قدمت باعتبارها دليلاً على رفض مبدأ اعتبارية الإشارة، وظهر في مركزية الجسد باعتباره آلية إدراك الأصم لتجاربه وفهم سلوكاته، حيث يعبر في نظامه الحركي والبصري والحسي عن تصورات العقلية والعاطفية، وحيث يمثل فضاء إيمانياً يختزل رؤيته الثقافية، فإننا نعتقد أنّ هذين المظهرين العرفانيين لا قيمة لهما خارج فهم التشكل الاستعاري الذي يسير الأصم في فهم ذاته وإعطاء تجاربه معنى، وفهم عالم الأشياء حوله. فكيف يشكّل الأصم استعاراته؟ ما هي آلياته؟ ماذا يريد بالتواصل استعاريّاً؟ نعتمد في الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها منهجية تقوم على عرض سردية البحث في الاستعارات عند الأصم، ثم ننظر في الانتقال من الاستعارة التصويرية عند العرفانيين في بحثهم في اللغة المنطوقة إلى الاستعارات الفضاءية، ثم ندرس خصائص الاستعاري الذي يعيش به الأصم في تمفصلات لغته وفي تواصله اليومي. وعلى ضوء النتائج الاختبارية التي توصلنا إليها، نختم بتوصيات.

1. راهنية بحث الاستعارة في لغة الإشارات:

إنّ من نتائج سيطرة نزعة تقنين لغة الإشارات في قواميس، ندرة الدراسات التي اتّجهت إلى دراستها في سياقات استخدامها، فأهملت قضايا عديدة تمثّل مسارات بحثية يمكن أن تغني معرفتنا الراهنة بها. ولعل أهم هذه المسارات الاستعارة في لغة الإشارات، وهو مبحث لم يلق عناية لأسباب عديدة؛ منها أولاً، عادة ما يتم تناول الاستعارة في تداخل مع مباحث الصورة والرمز بصورة عامة والأيقونة بكيفية خاصّة، وهو تداخل، وإن أغنى مبحث الاستعارة، فإنّه

لم يراع خصوصية الأصم، وخصوصية الاستعاريّ عنده، وثانيها سيطرة المنهج المقارنيّ القائم على الاقتراض والنقل من اللغة المنطوقة وإسقاط خاصياتها البنيويّة والدلاليّة على لغة الإشارات، التي نزعّم أنّها لغة استعاريّة، وأنّ استعاريّتها لا تقلّ، إنّ لم نقل أنّها تفوق، اللغات المنطوقة. وثالثها جدّة مبحث الاستعارة التصوريّة في اللغات المنطوقة فما بالك والحال في لغة مقبورة اجتماعيًا ومؤسّساتيًا في عالمنا العربيّ.

أ. الراهنيّة الأولى:

لعل سبق البحث في الاستعارة في لغة الإشارات يرجع إلى كتاب "الجسد والاستعارة في لغات الإشارات: بحث في صيغ الإنشاء"⁽²⁾ لدانيال بوفات (Danielle Bouvet)⁽³⁾، فهو أول كتاب يهتم بمسائل الجسد الاستعاريّ عند الأصمّ، وقد اعتمد الباحث منهجا مزجيا، فتارة نجاه يعتمد في بحث الاستعارات عند الأصمّ المقارنة بين لغة الإشارات واللغة المنطوقة، وينظر تارة أخرى في آليات تولّدها من منظور الاستعارة التصوريّة عند العرفانيين⁽⁴⁾.

ويهدف الاستدلال على عدم خضوع الإشارة إلى مبدأ "اعتباطيّة العلامة اللغويّة"، انطلق الباحث من مسلمة إثبات أنّ لغة الإشارات ليس لغة اعتباطيّة بصورة كليّة، بل هي لغة علاماتيّة يكون مصدرها أعضاء الجسد. ولما كان الجسد مولدا أساسيا للإشارة، وأنّ علاقة ما تنشأ بينها والفكرة التي يريد الأصمّ التعبير عنها، كانت الإشارة معلّلة طبيعيا. وبناء على ذلك نظر إلى الإشارات الجسديّة بماهي علامة مجرّدة، وبوصفها تمثيلات رمزية متصلة بالتجربة الجسديّة، ويحدث ذلك⁽⁵⁾؛

- بواسطة الاتجاه الحركي للجسد.
 - بواسطة الموقع الموضعي للجسد أو لأحد أعضائه.
- وبما أنّ هذه المواقع المميّزة بين التمثيلات الذهنيّة والثقافيّة ترتبط ببعض من أعضاء الجسد، فإنّ كلّ إشارة ماديّة أو مجرّدة مثل كلّ استعارة لا يمكن أن تكون اعتباطيّة، وذلك بسبب ما تولّده هذه الأعضاء من تحفيز (Motivation) يمكن أن يكون:
- تحفيزا أيقونيا (Motivation Iconique)، وهو تحفيز يحدث بين العلامات الإشاريّة الماديّة ومراجعها؛ الكناية والمجاز المرسل.
 - تحفيزا استعاريّا (Motivation métaphorique) حيث تكون الإشارات المجرّدة متولّدة عن عمليّة استعاريّة.

- بناء على ذلك صَنَّف دانيال بوفات الاستعارات المنتشرة في خطاب الصمِّ إلى؛
- استعارات المقارنة/ المشابهة (Les Métaphores de comparaison) من أكثر الاستعارات شيوعاً عند الصمِّ، وهي استعارات تستند إلى عالم الحيوانات "لطيف كالحمل، قوي كالثور، رشيق كالغزال، ذكي كالقرد، طويل كالزرافة، أحمر كالطماطم، قاس كالحجر، مثل الطفل"، ويمكن أن ينشئها الأصمُّ في سياق معين يكسبها مناسبة خطابية⁽⁶⁾.
 - الاستعارات المعجّمة (Les Métaphores lexicalisées)؛ تتولّد نتيجة نقل التعابير الاستعارية من اللغة الفرنسيّة إلى لغة الإشارات، بما أنّ آليّة الاستعارة هي نقل فكرة مجردة بواسطة كلمة محسوسة لها دلالة أوليّة: "أصابع ملتويّة، عيون أوسع من المعدة" وهذان النوعان قائمان على المشابهة، ويخرجان عن التصرّو العرفاني للاستعارة.
 - الاستعارات الفضائية/الاتجاهيّة: (les Métaphores d'orientation)، وهي استعارة تصوّريّة، تمنح توجّها فضائياً للتصور: "فوق/تحت، أمام/وراء، يمين/يسار، أعلى/أسفل... أن تكون في أعلى قمّة المجد/ أن تكون في أسفل السلم الاجتماعي/ أن تكون أمام المشهد/ مواجهها له، اليد القوية للنظام، عماد القبيلة. وليست هذه الاستعارات الفضائية اعتباريّة بما أنّها تستمد أساسها من تجربتنا الجسديّة والثقافيّة. ونجد في لغة الإشارات الفرنسيّة نفس الاستعارات الفضائية، وإن اتخذت مظاهر مختلفة، فنعثر على استعارات من قبيل: "معنوياته نازلة"، "تسلّق درجات النجاح"، "ارتفاع استطلاعات الرأي" "يعتقد أنّه أعلى من غيره"، "أنت تحت أمرتي".
 - الاستعارة الجديدة في لغة الإشارات: تعكس كلّ الاستعارات التي نشأت في اللغة الإنسانيّة منذ قرون، والتي تحيا في حياتنا المعاصرة، "العلاقة بين تجاربنا الجسديّة وتصورنا لذواتنا وللعالم الذي نحيا فيه"، فنحن عندما نتكلّم، فإنّنا نتكلّم وفق تفكيرنا وتجربتنا مع العالم، وتصورنا للواقع. ولهذا تكون لكلّ ثقافة استعاراتها الجديدة لأنّ لكلّ مجتمع نظريته إلى العالم. وسيكون من الطبيعيّ أن تتزوّد التعابير الاستعارية في لغة الإشارات من الاستعارات التي ولدت في اللغة الفرنسيّة المنطوقة. فالقدرة الإنشائيّة للمستعملين، وتصوراتهم للعالم تترجم بواسطة تصوّرات استعارية خاصّة منتقاة من لغة الإشارات الفرنسيّة.

وفي الصنافة استرسال في مستوى الأنواع بين اللغة المنطوقة ولغة الإشارات. ولا يكاد يأخذ بمبدأ الاعتباطية في دراسة الاستعارات في اللغة المنطوقة القائمة على مقولة الدليل اللغوي تجنباً لعدم فهمها فما بالك إذا تعلّق الأمر بلغة يكون الجسد بما هو فضاء إيقوني ثقافي، وبما هو نظام حركي بصري حسيّ محدّد لتصوراتنا مصدر العلامات الإشارية فيها. فمعنى القوة مثلاً متولّد عن إشارة الذراع باعتباره محيط الحركة، وتحفزه إشارة العينين باعتبارها محيط الانتباه. فالإشارات المجردة بماهي مؤشرات استعارية في لغة الإشارات تعود إلى نفس التصوّرات، وتنشأ العلامات الإشارية المجردة بواسطة التحفيز الاستعاريّ.

ولما كان الجسد طريقة في فهم اللغة، وفهم العالم، فيحقّق لنا الحديث استعارات جسدية⁽⁷⁾، فالاستعارة في جوهرها متولّدة عن اللاوعي الجمعيّ الذي يعكسه التواصل اللسانيّ. وننطلق من مسلمة عدم وجود الواقع خارج اللغة؛ فباللغة وحدها نستطيع فهم العالم وإنشاءه، ونستطيع أن نعطي تصوّراً ما فهماً. ويتمثل الرهان الأهم في الاستدلال على أن كشف طبيعة الأبنية اللسانية عملية تمرّ عبر تحليل التواصل الجسديّ.

إجمالاً، أولى الباحث من منطلق عرفانيّ الاستعارات الفضائية المتولّدة عن كلّ أعضاء جسد الأصم أهمية في الدراسة، وهو عمل كشف تداخل البعد الأيقونيّ بالبعد الاستعاريّ، وتوجّ كلّ مستوى بالبحث في مقتضيات الاستعاريّ ومستلزماته.

ب. الراهنية الثانية:

العمل الثاني الذي درس الاستعارات في لغة الإشارات هو عمل برونان (Brennan, 1990) فقد عرض برنان ظاهرتي الأيقونية والاستعارة في لغة الإشارات البريطانية (BSL)، من منطلق نظرية المزج التصوريّ (فوكونيوتورنر)⁽⁸⁾ في إطار منوال ينظر في كيفية نشأة الأيقونيّ والاستعاريّ في الكلمات، وهو منوال يماثل في نقاط عديدة المنوال التناظريّ لتوب (Taub; 2001). ولئن كان الفرق بين العاملين كامن في مدى بروز العرفانيّ ومدى استخدام مصطلح الاستعارة، فإنّهما يتّفقان في عدم التمييز بين الأيقونية الأصلية والأيقونية الاستعارية⁽⁹⁾، حيث استعمال مصطلح الاستعارة لوصف المزج الأيقونيّ (Mapping iconique) فكثيرة هي العناصر التي تعتبر استعارات (أبنية الميزان) هي من اكتشافات توب (Taub 2001) الذي حلّل "خطاطات الصورة" (schémas images) باعتبارها أيقونيّات أصلية.

ويقوم منوال توب على ثلاث مراحل: (1) اختيار الصورة، (2) الخطاطية، (3) التشفير/التسني⁽¹⁰⁾، وهي مراحل استدلالية أثبت بها مدى ثراء الاستعارة في لغة الإشارات ومقارنتها باللغة المنطوقة للخروج باستنتاجات تدعم نظريته اللسانية، فدرس المزج (mapping). فعندما نقارن بين كيانيين، فإننا نجد تماثلا بنيويًا في نظامنا التصوري، ومثال التماثل التركيبي بين (1) ساقه بشرية و(2) اتجاه السبابة والبنصر إلى أعلى (علامة الانتصار)، فالمزج هو الانتقال من المرجع إلى الإشارة، وهو مزج منتشر في لغة الإشارات، لذلك ميّز الباحث بين مفهوم النقل المتصل بالبنية الأيقونية الكبرى، والمزج الفضائي المتولد عن أعضاء الجسد في استعارات الصم.

إذا كان ذلك، فإننا نعتد ما توصل إليه دانيال بوفات من نتائج في دراسته للاستعارات في لغة الإشارات من ناحية، وتستند في عملنا إلى مرجعية عرفانية تتمثل في كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"⁽¹¹⁾. ولئن اعتمد صاحبنا هذا الكتاب في دراسة الاستعارة التصويرية عينات من اللغات المنطوقة، فإننا سنستغل العبارات اللغوية الاستعارية لدراسة طبيعة التصورات الاستعارية قصد الوصول إلى فهم الطبيعة الاستعارية لسلوكاتنا⁽¹²⁾، ولم يشر إلى كيفية دراستها في لغة الإشارات، فإن هذا الإهمال قد تواصل في كتابهما الثاني "الفلسفة في الجسد" وإن لم يخل من إشارة موجزة لاحظا فيها أن "معجم اللغة الأمريكية للإشارات (ASL)" يحفل بالإشارات الاستعارية التي تعكس استعارات تصويرية تشترك فيها الثقافات [...] وهذه الحالات تعثر عليها بالمثل في اللغة الأمريكية للإشارات"⁽¹³⁾. وهي إشارة فتحت لنا مجالات للبحث في الاستعارة التصويرية في لغة الإشارات التونسية ولغة الإشارات الفرنسية.

2. من الاستعارة التصويرية إلى الاستعارة الفضائية:

يحيلنا البحث في الاستعارة الفضائية أو الاتجاهية على نظرية الاستعارة التصويرية التي قدم أسسها، ووضع آلياتها لايكوف وجونسون من منظور تجريبي⁽¹⁴⁾، وهو منظور يجعل منها مقولة عرفانية تسمح بفهم ميدان تصوّري من خلال ميدان تصوّري آخر، فنحاول القبض على تصوّر مجرد وأكثر تعقيدا وغير محدّد بوضوح في تجربتنا مثل الحبّ من خلال تصوّرات أخرى أقل تعقيدا وأقل تجريدا، ونفهمها بوضوح من قبيل السفر. ويسمى الميدان الأول ميدان الهدف (الحبّ)، ويسمى الثاني الميدان المصدر (الجنون والسفر)، ويميزا بناء على ذلك بين؛

- استعارة بنيوية (Structural metaphors)، تقوم على بَنِيَّةٍ استعارية لتصوّر من خلال تصوّر آخر أو فهم ميدان تصوّريّ من خلال ميدان تصوّريّ آخر، ومثال ذلك استعارة "الجدال حرب".
 - استعارات الانطولوجية؛ (Ontologymetaphors)، وإذا كانت تجربنا الأساسية للتوجّه الفضائيّ تولّد استعارات فضائية، فإنّ تجاربنا مع أجسادنا والمحيط الفيزيائيّ حولنا تمثل مصدرا لأسس الاستعارات الانطولوجية. فنفهم الأحداث والأنشطة والأحاسيس والأفكار باعتبارها كيانات وموادا.
 - استعارة فضائية أو اتجاهية (Orientational metaphors)، هي استعارة تتأسس على بنية نسق تصوّريّ بواسطة تصوّر فضائيّ (عال/أسفل، داخل/خارج، أمام/وراء، فوق/تحت، عميق/سطحي، مركزي/هامشي). وتتصل الاستعارات الفضائية بالتفضية (Spatialization) فتكون لها مركّزات فيزيائية وثقافية، تستمدّها من وجودنا الجسديّ، الذي يعطي تصوراتنا اتجاها فضائياً.
- وليسست الاستعارات الفضائية استعارات اعتباطية، لأنّ جلّ تصوّراتنا الأساسية منظمّ بواسطة توجّه فضائيّ جسديّ. ويكون لكل استعارة فضائية نسق داخليّ منظمّ بواسطة مقتضيات تكوينها الفيزيائيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، ويكون لها نسق خارجيّ هو مقتضيات انسجامها مع استعارات أخرى، فاستعارة "السعادة فوق" مثلاً تحدّد نسقاً منسجماً من الاستعارات، وذلك لأنّ النسق يفقد اتساقه لو كانت جمل مثل "إنّي في القمة" تعني "أنا سعيد" فحين أنّ جملة "ارتفعت معنوياتي" تعني "أنا حزين".
- رغم أهميّة بحث أنواع الاستعارات التي ذكرها دانيال بوفات، وهو ما كشف حقيقة الاسترسال بين لغة الإشارات واللغة المنطوقة في مستوى آليات تولّد الاستعاريّ أولاً، وفي مستوى أنواعه ثانياً، فإنّنا نقصر اهتمامنا على بحث الاستعارات الفضائية لاعتبارات منهجية، منها ما يرتبط بفرضية فضائية اللسانيات العرفانية في تصوّرها للنحو والدلالة بصورة عامة وفي تمثّلها للاستعارة خاصة باعتبارها آلية عرفانية تسكن نظامنا التصوريّ قبل أن تكون تجلياً لغوياً، ومنها ما يخصّ لغة الإشارات ويتّصل بمركزيّة الجسد، وهي مركزيّة جعلت منها استعارات مهيمنة على التواصل الضمنيّ عند الأصم.

أ. من الإشارة الاستعارية إلى الاستعارة الإشارية

رغم اتفاقهما في كونهما استعارتين فضائيتين، إلا أنهما تختلفان، فما نقصد بالإشارة الاستعارية هو كلّ تجلّ أيقوني تصويريّ تشترك فيه لغة الإشارات مع اللغة المنطوقة، وهي صنف يشترك فيه الأَصم مع متكلمي اللغات. فكل الإشارات الاستعارية التي توجد في حياتنا المعاصرة تحيل على العلاقة القائمة بين التجربة الجسدية والثقافية والعالم الذي نحياه، فنجد إشارات المرور، وإشارات الجسد، أو لغة الجسد، ولغة العيون [...]. فالإشارة الاستعارية عبارة عن قائمة من الاستعارات المتصلة بالجسد، وباستخدام الهيئات الرمزية لحركات اليد، وتعابير الوجه، وبما أنّها مشتركة فلا فضل يذكر للأصم في استخدامها.

وأما ما نقصده بالاستعارة الإشارية، فهي استعارة جديدة ينتجها الأصم، فتعبر عن تصوّراته في علاقته بذاته، وتجربته وسلوكه في العالم، وتتطابق مع المقاييس الخمس المؤسسة لبنية الإشارة: شكل اليد، موقعها، حركتها، اتجاهها، تعابير الوجه. فاعتبار الجسد تمثيلاً رمزيّاً، مكّن الصمّ من تقوية مصادره وإغناء إشاراتهم كمياً ونوعياً⁽¹⁵⁾، فلكي ينجزوا أقوالاً استعارية، رمزية، مجردة عليهم أن يعتمدوا الإشارات التي تتولّد عن مختلف أعضاء الجسد. وليست الاستعارية الإشارية سوى ما اعتبره أوليفر ساكس (Oliver Sacks) "احتفالاً موسيقياً رمزياً" يحدثه جسد المتكلّم في لغة الإشارات، تتناغم فيه مختلف مكوناته. وذهب ميشال بوازات (Michel Poizat) إلى أنّ ما يؤسس هذه الهوية هو الطريقة الخاصة لاستخدامات الجسد في اللغة، وهي طريقة تمفصل إشاريّ لا صوتي⁽¹⁶⁾.

بناء على ذلك سيقوم عملنا على تمش منهجيّ؛ نبدأ في مرحلة أولى بتقصّي الاستعاريّ في بنية الإشارة، بذكر المقياس، أو العضو المعبر عنها، ثم الإشارة الاستعارية، ثم نستخرج الاستعارة الإشارية (الفضائية)، ونقدم ترجمة حرفية لها بذكر الأعمال اللغوية التي تؤديها. وننظر في مرحلة ثانية في الاستعارات البنيوية والاستعارات الانطولوجية في لغة الإشارات.

ب. الاستعارية الإشارية في بنية الإشارة:

نقدم الجدول التالي

الاستعارة القويّة	الاستعارة الإشاريّة	الإشارة الاستعاريّة	بنيّة الإشارة، العضو الجسدي المولد
استعارة تصوّريّة "يدان تتكلمان" اليّد	شكل اليد Configuration 	"يدان تتكلمان"، وهي استعارة مؤسسة لكل الاستعارات في لغة الإشارات استعارة إشارية متولدة عن الاستعارة الفضائيّة استعارة المجهول فوق والمعلوم تحت "الإشارة معرفة" "الرؤية قبض" / "الفهم إمساك"	- لقد عثت لي نفس الفكرة. - غابت عني الفكرة - أكاد أمسك بالمعلومة - أفلتت مني الفكرة - عثرت على الفكرة - أفكارك تحلق عاليا.
	اتجاه راحة اليد (lorientation)  	شكل (1) "القرب جيد" متولدة عن الاستعاريّين الفضائيّين "الجيد فوق/المسيء تحت" "الفضيلة فوق والرذيلة تحت" شكل (2) استعارة الزمن شيء متحرك الماضي خلف/المستقبل أمام	- مرحبا. - إلى اللقاء. - شكرا. - من فضلك تفضل. - آسف. - أهلا وسهلا. - مر وقت طويل على لقاءنا. - سيأتي الوقت لتعرفوا الحقيقة
	موقع اليد (empla) 1° (cement) 	المعرفة فوق/ الجهل تحت، المعلوم أمام/المجهول خلف/أنا أشير أنا موجود	- أشار إلي بيده. - بسط يده. - لوح إلي بيده.
	- حركة اليد (le mouve) (nt) - حركة ذات اتجاه - فوق/تحت - حركة في اتجاه أمام/وراء - حركة في اتجاه الأعلى/الأسفل - حركة اتجاه يمين/شمال   	الحياة فوق/الموت تحت، الذكاء فوق/الغباء تحت، الطموح فوق/الخضوع تحت، القمة أعلى/الحضيض أسفل الأكل فوق/الجوع تحت الحسن فوق/المسيء تحت	- أكاد أطيّر - أحسن نفسي في القمة. - معنوياتي مرتفعة. - امتلأت طعاما. - جسدي خاو - أحبك

- أنكم بصوت مرتفع - أفكر بهدوء - اعتقد أن الأمر حسم - اتواصل - أجادل - أكرهك - أراك لا حقا - توقف - أنت	أصابع ناطقة/ أصابع تعبر/ الأصابع حروف تنظم فيه بينها لتأدية المعنى وجوها وفروقا شكل الأصابع واتجاهها مشاعر وعواطف، ومواقف. أصابع تحب، تضحك، ترغب،	الاستعارة العنصرية بالغة التشويق   	حركة اليد + أصابع اليد	
- عين بعين	الوجه مرآة النفس/السعادة وجه جميل/الحزن الغضب وجه بائس عينان تسمعان/ الإبصار معرفة/ عينان أدانا تواصل/ العينان وعاء من الاستعارة الفضائية استعارة "الرؤية لمس" استعارة "المعرفة رؤية" استعارة "الإمسك فهم"	الاستعارة العنصرية بالغة التشويق  	تعايير الوجه (les mimiques faciales) حركة العينين واتجاههما:	استعارة تصويرية عينان تسمعان تعايير الوجه

كشف الجدول عدّة نتائج:

- أولاً؛ تداخل بين الإشارة الاستعارية والاستعارة الإشارية، وهو تداخل يفرضه واقع الاسترسال البنيوي الدلالي بين لغة الإشارات اللغة المنطوقة من ناحية، ولعله يكشف أنّ الاختلاف بين الأصم وبقيّة أفراد مجتمعه ليس اختلافاً في التصورات الذهنية وفي آليات تمثّل الذات وفهم العالم، وإنّما هو اختلاف في طرائق التعبير عنها، فنحن نعتقد أنّه في مستوى ذهنيّ يكون الأصم شأنه شأن غيره انساناً استعاريّاً، وتكون عيناه ويدها أمّارتين بالدلالة الاستعارية.
- ثانياً؛ أنّ الاستعارة الإشارية استعارة جسدية يسهم الجهاز الحسيّ والحركيّ والبصريّ في توليدها، وهي مرآة عاكسة لتصورات الأصم التي يفهم بها ذاته، ويدرك بها العالم من حوله.

- ثالثاً: أنّ التّواصل بالإشارات الاستعاريّة اتخذ شكلين؛ شكل أيقونيّ إيمائيّ استعاريّ بصريّ عبّرت عنها الصورة الخطاطة، وشكل فونولوجيّ تركيبيّ لسانيّ عبّرت عنه الأعمال اللغويّة، لهذا ميّزنا في الاستعارة الإشاريّة بين الإشارة الاستعاريّة الإنجاز البصريّ والاستعارة اللغويّة الإنجاز اللسانيّ.
- رابعاً: كلّ أعضاء الجسد مسرح لتولد الاستعارات الإشاريّة، وهي استعارات اتجاهيّة فضائيّة نظراً لأهمية الفضاء باعتباره عنصراً منتجاً للمعنى في لغة الإشارات، ولئن اقتصرنا على المستويات المكوّنة لبنية الإشارة، فإنّ مبرّر ذلك أنّ الاستعارات المتولّدة عن أعضاء الجسد الأخرى تمثل استرسالاً بين لغة الإشارات واللغات المنطوقة.
- خامساً: تداخل بحث الاستعارات الإشاريّة مع بحث الصورة، ودراسة الأيقونة، ومسائل الجسد وتعبيراته في اللغات المنطوقة كلّها عوامل سببت صعوبة في التمييز، ينضاف إلى صعوبة عدم اتقان لغة الإشارات. فنحن وإنّ كنّا نتطّقل على ميدان له كهنته ومنظوره، فإنّ ما يشرّع لنا ذلك أنّ مداخل التحليل التي اعتمدنا لم ندعي فيه علماً بهذه اللغة ولا قدرة على الريادة في ترجمتها، وإنّما هي مداخل لسانية وفرضيات بحثيّة تهدف إلى رد الاعتبار إلى هذه اللغة.
- سادساً: قادنا الاشتغال على الاستعارات الإشاريّة باعتبارها استعارات فضائيّة إلى حقيقة تحكّم استعارة أساسيّة مؤسسة على اتجاهات فضائيّة عبّرت عنها اليد بأشكالها ومواقعها وحركتها واتجاهها واختزلها الوجه في حركة العينين وإيماءاتهما واتجاهها.



وتتركَب هذه الاستعارة الأساسية من استعارتين فرعيتين: "عينان تسمعان"، و"يدان تتكلمان"، وهما استعارتان تثيران عدة تساؤلات: منها ما يتَّصل بالتصوُّرات العرفانيَّة والنفسية والثقافية عند الأصمِّ في علاقته بتصوُّرات المجتمع الذي يحيا فيه، ومنها ما يتعلَّق بالجهاز الحركيِّ والبصريِّ والحسيِّ الذي يبني به الأصمُّ والذي يفكر به في ذاته وفي العالم حوله، ويبني تصوُّر فهم فكرة (تجربة ذاتية) من خلال الإمساك بشيء أو القبض عليه (تجربة حسية حركية).

فإذا كان إنشاء الأصمِّ لاستعارات فضائية دليل على الطريقة التي يشكِّل بها جسده البنية التصوريَّة، فيعيِّن مجموعة من التوجَّهات الفضائية الأساسية التي لا يستخدمها في توجيه ذاته فحسب، ولكن أيضا في إدراك العلاقة بين شيء وآخر. لكن هذا الإدراك يصاب بانزياح في الجهاز الحركيِّ الحسيِّ، يتداخل بمقتضاه نظام اشتغال الحواس في اتجاهات فضائية وظيفية، فتصبح العين تسمع والأذن ترى واليدان تتكلمان والفم يضرب، وهو نظام اتجاهيِّ فضائيِّ يقدم الدليل على حقيقة كون الأصمِّ له جهاز حركيِّ بصريِّ مختلف يستوجب اختلاف في آلية بنية تصوُّرات.

والآلية الكاشفة عن هذا الاختلاف في بُنيَّة تصوُّراته هي الاستعارة التصوريَّة التي تتيح لتصوُّره الذهنيِّ كانت مجالات حسية حركية معينة مسؤولة عن تولِّده أن يستخدم مجالات أخرى للبروز. بهذا التبرير النظريِّ العرفانيِّ يمكن أن نفهم الاستعارتين "عينان تسمعان" "يدان تتكلمان" اعتبارهما استعارتين خاصتين بالأصمِّ، فتغيِّر الوظائف تبدل في التصوُّرات ينتج سلوكا مغايرا في الجهاز الحركيِّ الحسيِّ، مولدا لاستعارات جديدة لا عهد للغات المنطوقة بها.

3. النتائج والتوصيات:

الاستعارة في لغة الإشارة مقال فيه من الجدَّة ما يسمح باعتباره منطلقا للاختبار والنقد والمراجعة، فما قدَّمناه ليس سوى بدايات الحفر في ما يحمله الأصمُّ من استعارات يتلاعب بها ويخادع، ينقد، يحب ويكره بين ظاهر بريء وباطن ساخر. وهو مقال فيه من الطرافة ما يسمح باستئناف البحث في لغة الإشارة من منطلق تصوُّر لسانيِّ فضائيِّ في مقولاته، استعاريِّ في آلياته. وهو منطلق نعتقد أنَّه يثري معرفتنا بهذه اللغة، ودرايتنا بالأصمِّ نفسيا واجتماعيا وثقافيا عرفانيا.

هذا المقال على جدّته وطرافته يمكنه أن يعيد تشكيل تمثّلاتنا لتكوين المعنى وتأويله من زوايا متنوّعة وبآليّات عديدة في عالم يسبح في الاستعارة التي تحي والاستعارة التي تقتل، الاستعارة التي لا تقول ما يقصد، ولا تقصد ما يقال. وهو مقال يوفّر من الآليّات ذات الكفاية العالية في ترشيد سبل التعامل مع الأصمّ وغيره من النماذج الاجتماعية التي تعاني من صعوبات الاندماج والتواصل، فيمنح المؤطر والمدرّس والمعالج والطبيب آليّات إجرائيّة في التشخيص والتحليل والاختبار.

قائمة المصادر المراجع:

1. مراجع باللغة العربية:

- [1] جورج لا يكوف ومارك جونسون: (1996) " الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد الجحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، سنة 1996.
- [2] (2016): " الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي"، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديدة، الطبعة الأولى، 2016.

2. مراجع باللغة الأجنبية:

- [1] Danielle(B) ;(1997), Le corps et la métaphore dans les langues gestuelles. A la recherche des modes de production des signes, Paris, L'Harmattan, coll. « sémantiques »,
- [2] Fauconnier(G) and Turner(M) ; « The way we think », Conceptual Blinding and the Mind's Hidden Complexities, Edition Basic Book, 2002.
- [3] Jamet(D.L) ; « L'image du corps dans les langues ». L'ALEPH - Philosophies, Arts, Littératures, Institut de recherche interdisciplinaire sur la société (Lyon), 1999, L'ALEPH n°2 (2).
- [4] Lakoff(G) and Johnson(M) ; (2003) ; " Metaphors we live by ", The University of Chicago Press Chicago and London.
- [5] Martino(A) ;(2011) ; « L'accès au sens figuré chez l'adulte sourd signant: étude à partir de 10 expressions imagées », Médecine humaine et pathologie, UNIVERSITE DE NICE SOPHIA-ANTIPOLIS FACULTE DE MEDECINE ECOLE D'ORTHOPHONIE MEMOIRE PRESENTE POUR L'OBTENTION DU CERTIFICAT DE CAPACITE D'ORTHOPHONISTE.
- [6] Sperber(D)&Wilson(D)(1989) ; « La Pertinence, Communication et cognition » Paris, Minuit.)
- [7] Risler(A) ;(2000) « La langue des signes française, langue iconique : ancrage perceptivo-pratique des catégories du langage et localisme cognitif à travers l'étude de la motivation des signes et de la spatialisation des relations sémantiques ».
- [8] Sallandre(M) ;(2003) ; « Les unités du discours en Langue des Signes Française. Tentative de catégorisation dans le cadre d'une grammaire de l'iconicité Linguistique » Université Paris VIII Vincennes-Saint Denis, 2003. Français.

3. مواقع على الانترنت:

[9] <https://www.cairn.info/revue-les-lettres-de-la-spf-2018-2-page-195.htm>.

[10] <file:///C:/Users/info/Downloads/aile-1405.pdf>

التهميش والاقتباس

¹ - العرفانيون هو علماء من مختلف التخصصات العلمية، من البيولوجيا وعلم الأعصاب، والذكاء الصناعي، واللسانيات، ولعلم النفس، اتجهت دراستهم إلى إعادة بناء الإرث الفلسفي العلمي على نظرية جسدنة العقل أو العقل المجسد، وتأسيس معرفة انسانية تقوم على نقد لتصور الأرسطي لمسائل عديدة ترتبط بالعقل والخيال والمعنى.

² - Danielle(B) ; (1997), *Le corps et la métaphore dans les langues gestuelles. A la recherche des modes de production des signes*, Paris, L'Harmattan, coll. «sémantiques», p. 120.

³ - دانيال بوفات (Danielle Bouvet)؛ باحث في لغة الإشارات الفرنسية، متحصل على دبلوم في علاج النطق، جامعة الصحة باريس سنة 1962، حائز على دكتوراه في اللسانيات من "معهد الدراسات المعمقة" بباريس سنة 1981 ونشرت سنة 1982 بعنوان "الكلام عند الطفل: من أجل تعليم ثنائي اللغة للطفل الأصم" أهم كتبه: المقياس الجسدي للكلام: المؤشرات الفضائية للكلام، مظاهرها الكنائية والاستعارية ودورها في الخطاب " سنة 2000، وكتاب "مقاربة متعددة الأصوات للخطاب في لغة الإشارات الفرنسية" سنة 1996. وكتاب "الجسد والاستعارة في لغة الإشارات: مقاربة صيغ إنتاج الإشارات" سنة 1997.

⁴ - Lakoff(G) and Jhonson(M) ; « Metaphors we live by », ed 2003 ; London ; The university of chicagopress.

⁵ - Jamet(D.L) ; « L'image du corps dans les langues ». L'ALEPH - Philosophies, Arts, Littératures, Institut de recherche interdisciplinaire sur la société (Lyon), 1999, L'ALEPH n°2 (2), pp.10-19.

⁶ - تقاس درجة مناسبة الإشارة الاستعارية بالتأثير السياقي الذي تحدثه في سياق معين والمجهود العرفاني المبذول في الفهم والتأول، إذ تكون الإشارة الاستعارية مناسبة في سياق معين إذا أنتجت تأثيرات سياقية في سياق معين، ولم تتطلب مجهودا في المعالجة في ذلك السياق، وإذا تطلبت كانت أقل مناسبة أو غير مناسبة في ذلك السياق

(Sperber(D)&Wilson(D)(1989) ; « La Pertinence, Communication et cognition » Paris, Minuit.)

⁷ - تكثر الاستعارات الجسدية في اللغة المنطوقة وتتخذ مظاهر عديدة، منها الاستعارات الجنسية التي تغزو الواقع الافتراضي واليومي، وتتعلق بميادين هدف كالسياسة مثلا.

⁸ - Fauconnier(G) and Turner(M) ; « The way we think », Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities, Edition Basic Book, 2002.

⁹ - Risler(A) ; (2000) « La langue des signes française, langue iconique : ancrage perceptivo-pratique des catégories du langage et localisme cognitif à travers l'étude de la motivation des signes et de la spatialisation des relations sémantiques » p.415.

¹⁰ - Sallandre(M) ; (2003) ; « Les unités du discours en Langue des Signes Française. Tentative de catégorisation dans le cadre d'une grammaire de l'iconicité Linguistique » Université Paris VIII Vincennes-Saint Denis, 2003. Français. pp45-68.

¹¹ - جورج لا يكوف ومارك جونسون: (1996) " الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد الجحفة، دار توبال للنشر، الطبعة الأولى، سنة 1996.

Lakoff(G) and Johnson(M) ; (2003) ; « Metaphors we live by », The University of Chicago Press Chicago and London.

(2016): " الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي"، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب

الجديدة، الطبعة الأولى، 2016.

¹²- جورج لا يكوف ومارك جونسون؛ 1996، ص 31.

13- المرجع السابق، ص 140.

14- وهو منظور يقوم على دحض التصوّرات الموضوعية التي تعتبر الاستعارة حكرا على النصوص الأدبية والشعرية خاصة، وتنفي وجودها في الكلام العادي، فتعتبرها محسّنا لفظيًا وأسلوبا راقيا يخص الألفاظ، ولا علاقة له بالتصورات، وهي بهذا الاعتبار تتأسس على المشابهة، ولا تتعدى كونها ظاهرة لسانية لغوية قائمة على الانزياح عن التركيب العادي.

¹⁵- BOUVET(D) ;(1997) « Le corps et la métaphore dans les langues gestuelles. A la recherche des modes de production des signes », Paris, L'Harmattan, p137 .

¹⁶- Martino(A) ;(2011) ; « L'accès au sens figuré chez l'adulte sourd signant: étude à partir de 10 expressions imagées », Médecine humaine et pathologie, Université De Nice Sophia-antipolis Faculte De Medecine Ecole D'ORTHOPHONIE MEMOIRE PRESENTE POUR L'OBTENTION DU CERTIFICAT DE CAPACITE D'ORTHOPHONISTE